التفكير الحضاري عند مولود قاسم نايث بلقاسم من منظور أخلاقي وديني

The Civilization in the Thought of Mouloud Kacem Nait Belkacem from an Ethical and Religious Perspective

رياض طاهير [1]

[1] جامعة قاصدي مرباح (الجزائر).

تاريخ الاستلام : 2024-01-16؛ تاريخ المراجعة : 2024-03-16 ؛ تاريخ القبول : 2024-03-31

ملخص :

تعتبر الفترة الممتدة ما بين 1830 إلى غاية 1962م، مرحلة جد حرجة من تاريخ الجزائر، وذلك من خلال الحملة الاستعمارية التي شنها المستدمر الفرنسي قصد طمس معالم ومبادئ الحضارة والأمة الجزائرية، بداية بالعمل على تحريف وتزييف ثوابت الأمة الجزائرية، كل هذا ساهم بشكل كبير في المسار الأعرج للأمة الجزائرية بعد فترة الاستعمار الفرنسي، وخاصة أن فرنسا عملت منذ البداية على تشتيت وتفتيت المنظومة الأخلاقية والدينية للمجتمع الجزائر مما صعب عليه بعد مرحلة الاستقلال إعادة بناء دولة حضارية بمقومات ثابتة. ولهذا يمكن القول أن مجمل المفكرين الجزائريين سواء في فترة الاستعمار أو بعدها، عملوا على إعادة بناء الأمة الجزائرية وفق مقومات ومبادئ حضارية تتماشى والتطور الحاصل في مختلف بلدان العالم. وهذا ما أخذه على عاتقه المفكر الجزائري مولود قاسم نايث بلقاسم من خلال إعادة صياغته لمفاهيم جديدة محاولا من خلالها تجاوز أزمة الإنسان الجزائري المعاصر دينًا وأخلاقًيا. ولهذا فورقتنا البحثية هنا نحاول من خلالها البحث عن القيم الأخلاقية والدينية وأهميتها في البناء الحضاري عند مولود قاسم نايث بلقاسم. والإشكالية المحورية لبحثنا هذا تتمحور حول: كيف يمكن تحقيق بناء حضاري للأمة الجزائرية؟ وبصيغة أدق: هل يمكن اعتبار معياري الأخلاق والدين بمثابة الركيزة الأساسية للنهوض الحضاري للأمة الجزائرية؟ هل يمكن التأسيس للحضارة من منطلق أخلاقي وديني؟

الكلمات المفتاح : أخلاق، قيم، دين، حضارة، أصالة.

Abstract:

The period from 1830 to 1962 marks a critical phase in the history of Algeria. This period was characterized by the French colonial campaign aimed at erasing the characteristics and principles of Algerian civilization and nation. This campaign began with the distortion and falsification of the foundations of the Algerian nation. All of these actions significantly contributed to the challenging path of the Algerian nation after the French colonial period, particularly as France, from the outset, worked on disintegrating the ethical and religious system of Algerian society, making it difficult for the nation to rebuild a civilized state with stable foundations after gaining independence. As a result, it can be said that Algerian intellectuals, whether during the colonial period or afterward, worked on reconstructing the Algerian nation according to the principles and values of civilization that align with the evolving trends in various countries around the world. This mission was taken up by the Algerian Mouloud Kacem Nait Belkacem, who sought to reframe these concepts and, through them, overcome the contemporary moral and ethical crisis faced by the Algerian people. Therefore, the focus of our research here is to explore the ethical and religious values and their significance in the process of building civilization in the thought of Mouloud Kacem Nait Belkacem. The central issue of our research revolves around: How can a civilizational foundation be achieved for the Algerian nation? Or, more precisely, can ethical and religious standards be considered the cornerstone of the cultural progress of the Algerian nation?

Keywords : ethics; values; religion; civilization; originality.

* د.رياض طاهير .

I- تمهيد:

لقد كان ولايزال موضوع البناء الحضاري من بين أهم المسائل التي نالت قسطًا وافراً من الجدل والنقاش في الفكر الفلسفي عمومًا، وذلك منذ الفكر الشرقي القديم وصولا إلى عصرنا الحالي، ولعل السؤال الجوهري الذي حاولت الفلسفة الإجابة عليه هو: ما الحضارة؟ وكيف يمكن أن نؤسس لها؟ وما السبيل لتحقيق ذلك؟ كل هذه الأسئلة حاول الفلاسفة الإجابة عنها من منطلق إيديولوجي، إذ يرى فريق أن الحضارة والتأسيس لها لا يتأتى إلا من خلال العودة إلى إحياء الجانب الأخلاقي في الأمة، في حين يرى فريق آخر أن الحضارة تتم من خلال العودة إلى تعاليم الدين الحق، وذهب فريق آخر، إلى الإقرار بأن الحضارة تتأسس من منطلق مادي بعيد كل البعد عن كل ما هو روحي –أخلاقي وديني-

اختلف الفلاسفة والمفكرين حول موضوع الحضارة أو إن صح القول البناء الحضاري في الفكرين الغربي والعربي على حد سواء، فلقد اعتبر الغرب أن الحضارة لا تتأسس إلا من خلال العودة إلى إحياء الجانب المادي في الإنسان وتشجيع الحياة بكل معانيها، في حين يرى المفكرون العرب على أن البناء الحضاري لا يتم إلا من خلال العودة إلى تقوية الوازع الديني وإحياء الضمير الأخلاقي، ويرى فريق ثالث على أن الحضارة تتأسس على الجانبين المادي والروحي معًا، وهذا الاختلاف ناتج عن اختلاف عادات وتقاليد الحضارتين الغربية والعربية، بل أكثر من ذلك حاول الغرب طمس معالم الحضارة العربية الإسلامية من خلال فرض عادات وقيم وتقاليد دخيلة على حياة الإنسان العربي المسلم، مما زاد من حدة معانا ومأساته. فالفكر الغربي وما يحمله من زخم معرفي وتكنولوجي حاول أن يقصي الآخر العربي، من خلال جعله في تبعية مستمرة له، سواء ما تعلق منه بجانب الثقافة أو العادات والتقاليد ومختلف القيم الإنسانية، من خلال اعتبار الغرب مركزًيا ومنتج لمختلف القيم الإنسانية، في حين أن الإنسان العربي المسلم، عديم القيمة والوجود، ولهذا جعل الغرب الحضارة مبنية على أساس مادي لا غير، ولهذا يقر السيد قطب على أن السائد في العصور الحديثة هو انتشار الحضارات المادية التي تحاول أن تقضي على الإنسان وتحوله إلى آلة، وتدمر خصائصه، فهي تعامله بالمقاييس الآلية وبالمقاييس الحيوانية التي أمكن دراستها في عالم الحيوان[1].

وأمام هذا المأزق الذي يعاني منه العالم الإسلامي، أصبح بذلك أكثر من ضرورة إعادة بناء المجتمع الإسلامي وفق أصول ومبادئ أخلاقية ودينية أصيلة، ووفق ما يتماشى وطبيعة عاداته وتقاليده وأعرافه الاجتماعية المتراكمة، فالغرب وما يحمله من شعارات رنانة كان ولا يزال يسعى إلى محاولة تدمير معالم ومقومات العالم الإسلامي، وفرض معالم حضارية لا تتوافق مع معالم الدين الإسلامي الحنيف، لهذا نجد الكثير من الفلاسفة والمفكرون العرب من حاولوا صد هذا التيار الإيديولوجي الجارف، من خلال اقتراح مشاريع حضارية نابعة من الدين الإسلامي الحنيف، ووفق ما يخدم الإنسان وانسانيته، ومن ثمة دحض كل الأفكار الزائفة التدميرية، وبناء حضارة إسلامية أصيلة.

ولعل من أبرز الفلاسفة والمفكرين الذين حاولوا تقويض الحضارة الغربية وادعاءاتها، نجد الفيلسوف والمفكر الجزائري مولود قاسم نايث بلقاسم (1927.1992)، بحيث عمل على دحض الفكر الحضاري الغربي المادي، واستبداله بالبناء الحضاري الروحي القائم في أساسه على الدين والأخلاق، ولهذا فورقتنا البحثية تحاول الإجابة على الإشكالية المحورية التالية: كيف يمكن أن نؤسس لحضارة عربية إسلامية؟ كيف يمكن تحقيق بناء حضاري للأمة الجزائرية؟ وبصيغة أدق: هل يمكن اعتبار معياري الأخلاق والدين بمثابة الركيزة الأساسية للنهوض الحضاري للأمة الجزائرية؟

1- سيد قطب، **الإسلام ومشكلات الحضارة**، (ط09؛ القاهرة: دار الشروق، 1988)، ص08.

أولاً : الحضارة* والمرجعية الدينية عند مولود قاسم نايث بلقاسم

حاول مولود قاسم نايث بلقاسم (1927-1992)، معالجة مشكلة الحضارة من خلال العودة إلى العامل الروحي في الأمة والقائم في أساسه على الدين، وهذا الأخير يشكل حلقة متكاملة الأطراف في تحقيق تطور الأمة العربية الإسلامية، فلا خلاص لهذه الأمة إلا العودة إلى تعاليم الدين الإسلامي الحق، وبناء خطاب ديني يكون بمثابة الحصن للأمة على الصعيدين الداخلي والخارجي. ولهذا فالدين وما يمثله من مبادئ وقيم وقواعد تساهم بشكل كبير في تحقيق التكامل والتكافل الحضاري والاجتماعي.

ولعل الدين باعتباره مرجعية الحضارة العربية الإسلامية على مر التاريخ، كان في أساسه قائم على مبادئ الإنسانية وخدمة الإنسان المسلم، أو إن صح القول هو دين حضارة بأتم معنى الكلمة، لأنه عمل على تهذيب سلوك الأفراد والعمل على تنمية وتطوير كل ما يتعلق بالإنسان والعمل على احترامه للآخر، وهو ما يمثل جوهر العلاقات الإنسانية منذ القدم إلى يومنا هذا، فلا يمكننا أن نتصور الإنسان في أمة ما بمعزل عن الوازع الديني وما يمثله ضوابط قيمية إنسانية، ولهذا نجد أن مولود قاسم نايث بلقاسم في تأسيسه للبناء الحضاري، أعاد المكانة الأساسية – المسلوبة في العهد الاستعماري- للدين، باعتباره المحرك الأساسي للحضارة، وهو سبيل تحقيق السعادة والرفاه الإنساني. فلا يمكن حسب مولود قاسم بناء حضارة بمعزل عن ترسيخ الثوابت الدينية في أذهان الناس، ولا يعني التمسك بالقيم الدينية دعوة للتخلف والاندثار، بدعوى أن الانغلاق على الدين والعودة إلى تعاليمه الحقة جحود وكود، بل العكس تمامًا، فلا يمكن تحقيق المستقبل إلا من خلال التمسك بالموروث الديني المقدس، ولهذا نجد مولود قاسم في هذا المقام يقر على أنه: "تعلقت أمة الإسلام قرونًا بالخرافات، وأصبحت تكملها الآن بالانحرافات، فبعد أن وقفت من التقدم الحق موقف السلب، انقلبت على القيم بالسب والثلب، فلا تقدم فعلا حققت ولا تخلُّفحقً ا سحقت، ولا رواسب عميقة محقت، ولا بالركب السار لحقت، فخسرت في كلتا الدارين واحترقت بلفح النارين، فلا هي بقيت الإسلام، ولا هي أصبحت أمريكية أروبية"[1].

ويظهر لنا من خلال هذا القول أن البناء الحضاري والمسألة الدينية أمران ضروريان لتحقيق الأمن والسعادة الإنسانية، ولهذا نجد مولود قاسم نايث بلقاسم في الكثير من المحافل العلمية والملتقيات يركز على إعادة قراءة النص الديني قراءة سليمة، بعيدًا عن التحريف والتزييف، قصد الوصول إلى بناء حضارة متناغمة ومنسجمة وتحقق غاية الإنسان في الوجود، ويرى مولود قاسم نايث بلقاسم أن التطور الحاصل اليوم في الساحة العالمية وما يمثله من تكنولوجيا، لا يعني بالضرورة الانسلاخ عن إنيتنا وهويتنا الأولى القائمة على الدين واللغة والمصير المشترك، وإنما مسايرة ومواكبة هذا التطور الحاصل من جهة وتمسكنا بعقيدتنا الدينية وموروثنا الروحي والمادي. كل هذا دفع مولود قاسم إلى إعادة إحياء دور المسجد وما له من قيم روحية وانسانية على الصعيدين الفردي والجماعي، ويقول في هذا المقام:" فالغاية منكم – كلام موجه للأئمة- أن يكون كل منكم راعيًا وواعيًا، داعيًا ساعيًا، وأن يخدم ويتصل، وأن يهتم بشؤون المجتمع كله، وبشؤون الأمة كلها، وبجميع شؤون الأمة، وأن لا تقتصروا فقط على العبادات، ولا على التعليم والتهذيب فقط، بل يجب أن تتبعوا شؤون الأمة وبناءها في مختلف المجالات، وفي سائر القطاعات وعلى المستوى العام للبلاد كلها"[2].

---

*- من الناحية اللغوية، تطلق الحضارة على كل من يسكن الحضر والمدينة وهي على خلاف البداوة ، وترتبط بشكل كبير برفاهية العيش وتبادل الأفكار في شتى مناحي الحياة، ومن ثمة تحقيق العيش والتعايش بين أفرادها، والعمل على تحقيق الأمن والاستقرار، وهذا الهدف هو الذي يحقق في نهاية الأمر التطور والرقي وتحقيق التكافل والتناغم الاجتماعي، وللمزيد من الثراء العلمي الرجاء العودة إلى:

- ابن خلدون، **المقدمة**، (بيروت: مكتبة لبنان، 1996)، المجلد الأول، ص 161.

- شحادة الناطور،جمال بيضون وآخرون، **مدخل إلى تاريخ الحضارة**، (ط1؛ عمان: دار الكندي للنشر والتوزيع، 2016)، ص09.

[1]- مولود قاسم نايث بلقاسم، **أصالة أم انفصالية**، (د.ط؛ الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2009)، ج1، ص 11

[2]- مولود قاسم نايث بلقاسم، **أصالة أم انفصالية**، (د.ط؛ الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2013)، ج02، ص 190.

ويتضح لنا من خلال هذا القول، أن مولود قاسم أراد من خلال الملتقيات العلمية والدينية التي كان يعقدها إلى محاولة إعادة هيبة المؤسسة المسجدية وما تنتجه من خطابات دينية من جهة، ومن جهة أخرى الخروج من الدور التقليدي المسجدي الذي كان –ولا يزال حسب مولود قاسم مقتصرًا فقط على أداء الصلات من جهة أخرى، فالأمة العربية الإسلامية اليوم في أمس الحاجة إلى الخطاب الديني الأصيل الذي يخدم الفرد والحضارة والدولة في الآن نفسه، وما أحوجنا اليوم – حسب مولود قاسم- إلى إنتاج خطاب ديني يكون قوي يكون الحصن المتين للأمة العربية الإسلامية، أمام التيار الإيديولوجي الغربي القائم، وذلك من منطلق أن الغرب كان ولا يزال يتخذ موقف معادي للعرب والمسلمين، وذلك بسب الاختلاف الديني القائم، ومن ثمة بناء عداء ديني من جهة، ومن جهة أخرى اعتبار أن الحضارة العربية الإسلامية لا تزال تتخبط في غياهب التخلف والجهل، ومن ثمة استعمارها وجعلها في تبعية مستمرة للغرب المادي، كل هذا يظهر لنا من خلال الحملات الاستعمارية التي شنها الأوربيون منذ مطلع القرن السابع عشر (17م) إلى غاية النصف الثاني من القرن التاسع عشر (19م)، على مختلف البلدان العربية الإسلامية تحت شعار خدمة الإنسانية من منطلق انقاضها من الجهل والتخلف ومن ثمة التأسيس للحضارة والتحضر والتقدم والتطور، وبالتالي نجد مولود قاسم في الكثير من الأحيان يدعو إلى إعادة الاعتبار للخطاب المسجدي وذلك لأهميته في الحفاظ على القيم والموروث الفكري للحضارة الإسلامية، والدعوة إلى العلم والتعلم والتخلص من الاعتبارات المسجدية الكلاسيكية، ومن ثمة إنتاج خطاب ديني خالص في مواجهة التيار الغربي المادي الجارف، الذي حاول في مرحلة الاستعمار ومن بعده، جعل الأمة الجزائرية في تبعية مستمرة للغرب، ومحاولة إضعاف الوازع الديني في نفسية المواطن الجزائري المسلم، والتشكيك في مختلف المسائل الروحية.

فالغرب الفرنسي –كنموذج الإديولوجيا الغربية- عمل على إضعاف المسلم والتشكيك في بنيته الدينية ومن ثمة التشكيك في انتمائهم وبنائهم الحضاري، مما أدى إلى ظهور تيارات معادية للإسلام داخلًيا وخارجًيا، من منطلق التقدم والتحضر ومكافحة الجهل والتخلف، ومن ثمة الوصول إلى تحقيق غاياته –أي الغرب- والمتمثلة في هدم مبادئ ومقومات الحضارة الإسلامية وهدم الإنسان في حد ذاته، من خلال هدم أخلاقه وعقيدته وفكره إبعاده عن دينه الحق[1].

ولهذا نجد أن النموذج الذي يسير عليه العالم اليوم، هو النموذج الغربي في ميدانه العلمي أو المعرفي أو المنهجي، وأصبح أصلا من أصول الحياة المعاصرة، بحيث أصبح الدين في الواقع العالمي المعاصر اليوم قيمة روحية أخلاقية هامشية محصورة في ميدان الحياة الفردية، في حين أصبحت علمنة الحياة العامة قيمة كونية مركزية مع تصادم ذلك مع سنن الحياة نفسها، واعتباره مؤشرا حقيقًيا على المنحدر الحضاري الخطير الذي تجد فيه الحضارة المعاصرة نفسها[2]. ولهذا فالبعد الديني وما يمثله من روح الحضارة، هو الذي يعيد للإنسان إنسانيته المسلوبة، أو إن صح القول، يكتمل وجود الإنسان بتغذيته للجانب الروحي والمتمثل في عقيدته الدينية من جهة، والقيم الأخلاقية النابعة عن إيمانه ومعتقده، ولذلك فالبعد الروحي في الإنسان يمثل عمق الإنسان الحقيقي، وهو ما يمثل فطرته الأولى وقوة إرادته، وتستمر قيم الخير في ذاته وفي غيره، ومن ثمة تتجمع طاقة إيجابية في ذاته تدفعه إلى التطور والرقي.

يقول مولود قاسم نايث بلقاسم في هذا المقام: "...وإن أنجح الطرق لغرس هذه الروح الإسلامية ونشر الفكر الإسلامي لهما التربية والثقافة، اللتان هما الإسمنت الروحي الذي تلتئم به الأمم والسيلان الدائم الذي يضمن تواصل أجزائها، وتماسك أعضائها، ووجود ذهنية واحدة لديهم تجاه القضايا المصيرية تجسم ما سمي إجماع الأمم...ومن هنا أيضًا نرى الفيلسوف الكبير يجعل أركان شخصية أي أمة من الأمم ثلاث: اللغة والدين والتاريخ، لغرس حب الوطن"[3]، ويقول في

---

[1]- عفاف سيد صبرة، **المستشرقون ومشكلات الحضارة**، (ط2؛ القاهرة: دار الفكر العربي، 2007)، ص229.

[2]- الطيب برغوث، **التجديد الحضاري والعمق الإنساني للإنسان**، (د.ط؛ الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، 2017)، ص44.

[3]- مولود قاسم نايث بلقاسم، **أصالة أم انفصالية**، مصدر سابق، ج1، ص ص23-24.

موضع آخر: "إن شباب العالم الثالث لديه كل المشاكل وغيرها، وعليه أن لا يرقص على ألحن مزمر أو يقلد كل ناعق، بل عليه أن يبقى على أديم بلاده ثابت القدمين، وأن يستفيد من تجارب العالم، فيأخذ من الناجحة ويتحاشى الفاشلة، ويضرب صفحًا عن كل بريق ولمعان، وإذا كان شبابنا اليوم يعاني من فراغ عقائدي، ويتنكر في الكثير من الأحيان للفكر الإسلامي، فإنما ذلك لأنه لم يهضم بعض المستوردات ولم يتلقى نتائج فكر أمته أو تلقاه مشوهًا ممسوخًا ناقص"[1].

من خلال كل هذا تتضح معالم البناء الحضاري عند مولود قاسم، فإذا ما أردنا أن نحقق الرقي والانفتاح على العالم وما يمثله من عولمة وعلم، توجب علينا نحن كجزائريين وكعرب أن نلتف حول مبادئنا الشرعية، والعمل على مبادئ الأمة الإسلاميةهون الانصهار في عادات وتقاليد الغرب، ولا شك أن الأمثلة كثيرة في هذا المقام، فبُأس المجتمعات العربية اليوم يعود في أساسه في استيراد ثقافة الغير وما تمثله من خطر على مقوماته ومبادئه الدينية، والارتماء في أحضان الرذيلة والفراغ الروحي، كل هذا ناتج حسب مولود قاسم من الفهم الخاطئ لتعاليم ديننا الحنيف ومحاولة تقليد الغير حتى وإن كان ذلك تغليب جانب المادة على الروح، ولهذا فلا مناص لنا اليوم من إعادة الاعتبار للجانب الروحي –الديني- وما يمليه الضمير الأخلاقي قصد تجاوز مصيبتنا واللحاق بركب التطور والرقي، ويقول في هذا المقام: "وفي الحديث الشريف أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وأن التجربة تعلمنا أن المتهاون في هذه القوة مهان معيف، على أن القوة المادية وحدها سراب، إذ في ترك الحصانة المعنوية والروحية هلاك وخراب"[2].

فالحضارة من منظور مولود قاسم نايث بلقاسم شبيهة بالجسم الإنساني، فكلما كان الجسم هزيلا وضعيفًا تفاقمت عليه مختلف الأمراض والعلل، وكلما كان الجسم الإنساني قويًا تصدى لمختلف الأمراض، كذلك بالنسبة للحضارة، كلما قل العامل الديني فيها أصبحت عرضة للإختلالات وفقدان التوازن، وتتكالب عليها مختلف الدول، وتكون عرضة لمختلف الأمراض الحضارية المعروفة اليوم، ولهذا يتوجب على الأمة العربية اليوم، إعادة الاعتبار للعامل الديني حتى يتسنى لها الوقوف ضد التيارات الغربية الجامحة. ويظهر لنا من خلال كل هذا أن مشروع مولود قاسم نايث بلقاسم الحضاري، يشبه إلى حد بعيد مشروع مالك بن نبي (1905-1973)، إذ يرى أن العامل الديني يلعب دورًا تفاعليا في صنع الحضارة وزوالها، فلا يمكن تصور وجود الماء – حسب مالك بن نبي- إلا بوجود تفاعل كيميائي بين ذرات الأوكسجين وذرات الهيدروجين، والتفاعل الكيميائي بينهما يكون الماء، فكذلك الحضارة لا يمكن أن تكون إلا من خلال ثلاث عوامل رئيسية وهي: الإنسان والتراب والزمن، ولا يمكن فهم الحضارة إلا من خلال هذه العناصر الثلاث وتفاعلها، والعنصر الأساسي في التفاعل الحضاري هنا هو العامل الديني والذي يربط بين هذه العناصر الثلاث، ويضمن استمرارية الحضارة وكيانها. يقول مولود قاسم في هذا المقام: "إن الجزائر التي ساهمت بقسطها في إقامة حضارة من أخصب الحضارات وأغناها هي الحضارة العربية الإسلامية، والتي كانت لها شخصيتها بين الدول والأمم...فكانت أول دولة اعترفت بالثورة الفرنسية، ثم تعرضت لغزو فرنسي قاومته عشرات وعشرات السنين عانت أثناءه جميع محاولات المسخ والإذابة والإدماج، وقد قررت بعد استرجاع سيادتها واستقلالها أن تستكملها باستعادة جميع مقومات شخصيتها وعناصر ذاتيتها"[3]، ويقول في موضع آخر: "لقد كان الإسلام دومًا روح مقاومتها ومصارعتها لمحاولات الابتلاع كما كان بالأمس قوام حضارتها الزاهرة التي شملتها وبقية العالم الإسلامي، وكانت المنطلق لعصر النهضة الأوربية وبالتالي للحضارة الحديثة في العالم"[4].

---

[1] - المصدر نفسه، ص 86.

[2] - مولود قاسم نايث بلقاسم، **أصالة أم انفصالية**، مصدر سابق، ج2، ص 93.

3- مولود قاسم نايث بلقاسم، **إنية وأصالة**، (د.ط؛ الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2013)، ص211.

[4] - المصدر نفسه، ص 210.

ولقد اقر الفيلسوف رينان بتفوق العلم والحضارة العربية الإسلامية بين القرنين السابع والثاني عشر، وذلك من منطلق أن الدين الإسلامي دين عالمي، ولا يخص الإنسان العربي فقط، وإنما هو رسالة عالمية موجهة لمختلف الأجناس ولهذا عمل الدين الإسلامي على الربط بين مختلف الأجناس والبشر وضمان العلاقات الثقافية والاجتماعية التي تربط بينهم، والسماح لكل إنسان بأن ينتمي بحرية ممتلكاته ويستخدمها للصالح العام، ولهذا فيرى رينان أن الإسلام كدين وكرسالة سماوية عمل على توطيد العلاقة بين الأفراد باختلاف الجنس والنوع والعرق، والعمل على إنشاء تضامن بين صفوات مختلفة من الأجناس والتي تتصل بعضها ببعض عن طريق اللغة العربية والتي كانت لغة عالمية آنذاك[1]. وهنا يظهر لنا أن الحضارة العربية الإسلامية كانت منذ القدم متفوقة على نظيرتها الغربية، ومن ثمة يتجلى لنا الأهمية التي أعطاها الغرب للشرق، من خلال تشجيع الحركات الثقافية والأدبية في الشرق.

فالحضارة الإسلامية عملت على جعل الدين الإسلامي الركيزة الأساسية لفهم الإنسان وإنسانيته من جهة، وكذا أن طبيعة الدين الإسلامي يتماشى ومختلف الثقافات والأجناس ويتسع لمختلف الحريات والأفكار، فهو بذلك يساير كل الثقافات العملية، ومحاولة مواكبة الحضارات الناجحة والنافعة للنوع الإنساني، والتي يتفق عليها كل البشر باعتبارها صالحة لخدمة الإنسانية ويضمن تقدمها ورقيها[2].فالدين الإسلامي وما يحمله من تعاليم ليس اقصائيًا كما يُروج له الغرب، وإنما دين مضياف لكل الأجناس والثقافات والأفكار الخادمة للإنسان وإنسانيته.

يقر سيد قطب على أن الحضارة الغربية الحديثة قامت على أنقاض ما قامت عليه الحضارة العربية الإسلامية، فأساس هذه الأخيرة هو الدين الإسلامي الحنيف وما يحمله من قيم إنسانية ومجتمعية، في حين أن الحضارة الغربية قائمة على أنقاض الدين وما يمليه من مبادئ، "قصانعوا الحضارة الغربية الحديثة، لم يكن لديهم العلم لأن الحضارة بدأت ونمت خلال القرون الثلاثة الأخيرة، بينما الجهالة المطلقة بالإنسان لا تزال قائمة إلى اللحظة، وليس هناك ما هو صحيح وثابت عنه، إلا ما أخبر به عنه خالقه العظيم، والحضارة المادية نشأت في جو الشرود من الكنيسة، ومن الدين، ومن ظله، ومن كل الدين"[3].

من خلال قول سيد قطب، تتضح لنا معالم العداء القائم بين الحضارتين الغربية والعربية، إذ أن الحضارة الأولى جاءت كرد فعل سلبي على الدين المسيحي القائم، وأكثر من ذلك عملت على احتقار الإنسان والزيادة من حجم مآسيه ومعاناته، ولهذا عمل هذا المد المادي والمعادي للدين الإسلامي على محاولة زعزعة الحضارة الإسلامية من خلال الدعوة إلى ضرورة استبعاد كل ما هو ديني عن كل ما هو حضاري، أو إن صح القول ضرورة الفصل بين الشؤون الدينية والحياة العامة للأفراد، فعداء المنظومة الغربية ليست وليدة اليوم، وإنما جذورها ضاربة في عمق التاريخ، وتجسدت فيما بعد في التيارين الشيوعي والتيار المادي الماركسي، ويقول سيد قطب في كتابه "الإسلام ومشكلات الحضارة": ويبرز لنا آثار هذه الحضارة المادية التي سارت أشواطًا كبيرة، في تطبيق المنهج الآلي الحيواني على الإنسان، دون الأخذ بأي اعتبار للخصوصية الإنسانية، التي تفرقه عن عالم الحيوان والآلة"[4].

ولقد أشار مالك بن نبي من قبل إلى أزمة الحضارة المادية وما نتج عنها في واقع المجتمعات العربية المسلمة، إذ يرى أن "مشكلة الحضارة كانت شغلي الشاغل قصد إيجاد حلول واقعية لذلك التناقض القائم بين النجاح المادي والتخلف

1- أحمد رضا، **الإفلاس الخلقي لسياسة الغرب في الشرق**، تر: الشريف قصار، (ط1؛ الجزائر: دار قرطبة للنشر والتوزيع، 2014)، ص 123.

2- عفاف سيدة صبرة، **المستشرقون ومشكلات الحضارة**، مرجع سابق، ص 55.

3- سيد قطب، **الإسلام ومشكلات الحضارة**، مرجع سابق، ص 110.

4- المصدر نفسه، ص 08.

المعنوي، بمعنى تخلف القيم واهمالها، ...، والمجتمعات المعاصرة، بالغة التعقيد ومتعددة الأنواع"[1]. وبذلك فقد كان مالك بن نبي على أنقاض هؤلاء الذين يقرون على أنه يجب مسايرة ومواكبة العالم الأوربي وما يمثله من حضارة وتطور ورقي، وهو ما ذهب إليه طه حسين في اعتبار أن الحضارة الأوربية هي النموذج الذي يجب أن تقتدي به الحضارة العربية الإسلامية، وهذه الحضارة بما فيها وما عليها تبقى مهد الحضارة الإنسانية على مر التاريخ، ولهذا تصدى مالك بن نبي لهذا التيار الفكري النمطي، الذي حاول أن يستورد ثقافة الغرب وإحلالها محل الموروث الفكري والثقافي والأخلاقي العربي.

إضافة إلى ما سبق ذكره، يرى مولود قاسم نايث بلقاسم، أن العناصر الثلاث: اللغة والدين والتاريخ المشترك، هي بمثابة المركب الأساسي للحضارة، جزائرية كانت أو عربية إسلامية، فهي بمثابة الضامن الأساسي لوجودها واستمراريتها وديمومتها عبر التاريخ، فالجزائر كانت ولا تزال تتمسك بأهم قيمها الدينية والروحية المبنية على الحفاظ على الذات في مقابل التيار الإيديولوجي الغربي، الذي حاول بطريقة أو بأخرى طمس معالم الحضارة الجزائرية من خلال التشويه والضرب في مقومات الأمة الجزائرية، ولهذا فلا مناص لنا اليوم إلا بالعودة إلى تعاليم ديننا الحق، والتصدي لكل ما يثير الشك في تعاليم ديننا الحنيف.

ويتوجب علينا في هذا المقام، أن نذكر بأن مولود قاسم نايث بلقاسم، جعل من العناصر الثلاثة المكونة للحضارة: اللغة والدين والمصير المشترك بمثابة الركيزة الأساسية للحضارة العربية الإسلامية، إضافة إلى ذلك طرح مولود قاسم مشكلة الحضارة بين الأصالة والمعاصرة، إذ يرى أن تمسك الحضارة بمقوماته الثلاث لا يعني البتة تخلفها وانسلاخها عن مسار التطور والرقي، بل العكس من ذلك يرى أن التمسك بهذه المبادئ الثلاث ومواكبة التطور العلمي والتقني الحاصل في الدول المتطورة، يساعد بشكل كبير في النهوض بالحضارة العربية الإسلامية، ولهذا يجب المزج بين الأصالة من جهة وما تعنيه من موروث فكري وثقافي وديني، والمعاصرة وما تمثله من تطور ورُقي وتقنية.

ثانيًا: الأخلاق وأهميتها في البناء الحضاري عند مولود قاسم

كانت بداية مولود قاسم نايث بلقاسم، في تحليله للحضارة وعلاقتها بمسألة القيم، الربط بين الدين الإسلامي وما يمثله من مبادئ وقوانين ربانية، والمنظومة الأخلاقية العربية الإسلامية الأصيلة، فلا يمكن بحال من الأحوال افصل بين الجانبين الديني والأخلاقي، فهما وجهان لعملة واحدة، فكلاهما كانا يرميان إلى محاولة إصلاح حال وأحوال المجتمعات العربية، وما كانت تعانيه من تخلف واضطهاد، وتقليد أعمى للمنظومة القيمية الغربية.

ولقد انطلق مولود قاسم نايث بلقاسم في تشريحه لظاهرة التشرذم والتمزق الاجتماعي الذي تعاني منه مختلف المجتمعات العربية الإسلامية عامة، والمجتمع الجزائري على وجه الخصوص، من منطلق معاناتها من الفراغ الأخلاقي والوازع الديني، إذ يرى أن أساس الحضارة يعود إلى القيم الروحية المبنية على روح التسامح والأخوة والتضامن، وهو ما تفتقر إليه اليوم مختلف الدول العربية على حد سواء، وتعود أزمة الإنسان العربي اليوم إلى الحملات الغربية التي حاولت أن تشوه البعد القيمي والأخلاقي للإنسان العربي المسلم، من خلال الترويج لثقافة مناهضة لمبادئه الفطرية، وجعله في تبعية مستمرة لها، ومن ثمة التخبط في ديمومة التخلف والانحطاط.

وما زاد من الشرخ القيمي القائم اليوم، الثورة التكنولوجية الحاصلة وما تلته من تزاوج للثقافات وحوار للديانات، مما أثر سلًبا على الفرد العربي المسلم، من منطلق أن الغرب وما يملكه من وسائل وتقنية يمثل سعادة وحرية وكمال الإنسان، في حين أن المجتمعات العربية المسلمة تعاني من نقص في التكنولوجيا والتقنية مما يعني بأسه وشقاه، كل هذا كانت ولا تزال اليوم الحضارة الغربية تُسوق وتروج له من خلال وسائل الإعلام المختلفة، أو الوسائط الاجتماعية، كل هذا ساعد في

[1] - أنور الجندي، **المدرسة الإسلامية على طريق الله ومنهج القرآن**، (القاهرة: دار الاعتصام، دس)، ص149.

هشاشة الجانب الروحي في الإنسان وما يمثله من مبادئ دينية و قيم أخلاقية، وجعله في دوامة من التخلف والتقهقر الاجتماعي والأخلاقي والديني، ولهذا؛ فلا مناص للمجتمعات العربية الإسلامية المعاصرة اليوم من إعادة صياغة المنظومة القيمية، وفق ما يتماشى وذهنية العربي المسلم، قصد تفادي السقوط في مستنقع التقليد الغربي. ولهذا أخذ مولود قاسم نايث بلقاسم في هذا الشأن، يـُشّرِح لهذه الظاهرة من منطلق ذاتي أخلاقي قيمي، ويرى أنه من الضروري أن نواكب التغير الحاصل في الساحة العالمية اليوم، وفي المقابل يجب أن لا نتناسى عن جوهر الإنسان العربي المسلم وما يمثله من قيم ومبادئ.

يقول مولود قاسم نايث بلقاسم في مستهل مجلة الأصالة: "إذا كانت الجزائر قد استردت حريتها وثروتها المادية، وإذا كانت اليوم في طريق التغلب على هذا الثلاثي المشئوم، فإن هناك جانب واحد لم يشكل فيه تحررها وانعتاقها، وهو لا يقل أهمية عن أي جانب من جوانب البناء الحضاري، وهو الوجه الروحي الأخلاقي الذي هو الإسمنت الروحي للإنسان والمجتمعات والأمم"[1]. والظاهر لنا من خلال قول مولود قاسم نايث بلقاسم من خلال قوله هذا؛ أن السبب الذي جعل المجتمعات العربية تعاني ويلات التخلف والتقهقر هو الانحطاط الأخلاقي الذي تعاني منه من جهة، وتبعيتها بصفة مباشرة للأخلاق الغربية من جهة ثانية، والتي تدّعي الحرية والتضامن ومختلف الشعارات الرنانة التي زادت من بأس الإنسان العربي المعاصر. وعلى هذا الأساس يرى مولود قاسم، أن هذه الحملات الغربية، التي عملت على هدم الأساس الأخلاقي والهوياتي للمجتمعات العربية الإسلامية اليوم، لا تقل أهمية عن الاستعمار بمفهومه الحديث الذي يعتمد فيه على قوة السلاح والجيش، بل أقر على أن هذا النوع من الاستعمار، يجعل الإنسان في دوامة من التيه والتخلف ونوع من التبعية للغرب، نتيجة انسلاخه عن مبادئه الأخلاقية والدينية، ومحاولة التشبه بالآخر الغربي وتقليده، ولهذا يرى مولود قاسم أن الإنسان العربي المسلم، لا يحقق التطور والرقي إلا من خلال تعزيز جانبه الروحي الأخلاقي والتخلص من كل الشوائب، "فالجانب الأخلاقي والروحي، يعزز ويضمن وحدة وتكامل الأمم وتماسكها، ويجعلها تتخلص من كل ما يكون قد علق بها، من عادات سيئة مستوردة وتحصن نفسها ضد كل غزو فكري يسترجع بيد ما سلمه بأخرى عن كره ومضض"[2]. ويستطرد قائلاً : "...وتأملتم في العبادات وانتهيتم إلى أن لها إلى شكلها معناها، وإلى نصها مقصدها ومبناها، وأنها للأمة والمسلم دين ودنى، و بها تحقق في هذه وفي الأخرى الآمال والمنى"[3]. ومن خلال هذا القول، يتضح لنا أن الأخلاق كمنظومة أخلاقية مرتبطة أشد الارتباط بالدين الإسلامي، الذي يعتبره مولود قاسم سبيل خلاص الإنسانية في الدنيا والآخرة.

ولعل أن ديننا الإسلامي الحنيف، نجد فيه الكثير من الدعوة إلى التسامح ونشر قيم الخير ونبذ كل أشكال العنف والتطرف، "فنحن نعرف أنه يدعو في جميع أركانه إلى التعاون وإلى الأخوة الحقة، ويستنكر كل أشكال وأصناف الاستغلال واللامبالاة"[4]، فالأمة الإسلامية في تضامنها مثل الجسد الواحد، "كما أن الإسلام دين ودولة ونظام اجتماعي متكامل فهو نصوص ومقاصد... فالتضامن الإسلامي يفرض على الغني إسعاف الفقير على المستوى الدولي وليس الأفراد فقط، "إنما المؤمنون إخوة" داخل الأمة"[5].

ويرى مولود قاسم، أن مصير الحضارة مرتبط أشد الارتباط بالمنظومة الأخلاقية والدينية والاجتماعية، فلا يمكن بحال من الأحوال الفصل بين هذه العوامل الثلاث وتشكيل القيم الروحية للمجتمع العربي المسلم، كما أن المنظومة القيمية

---

[1]- مولود قاسم نايث بلقاسم، **مجلة الأصالة**، العدد14، 1973، ص03.

[2] - مولود قاسم نايث بلقاسم، **مجلة الأصالة**، المصدر نفسه، ص05.

[3]- مولود قاسم نايث بلقاسم، **أصالة أم انفصالية**، ج2، مصدر سابق، ص95.

[4] - مولود قاسم نايث بلقاسم، **مجلة الأصالة**، العدد 27 ،1981، ص ص 5-6.

[5] - المصدر نفسه، ص 322.

عنده –أي عند مولود قاسم نايث بلقاسم- بمثابة مقوم من مقومات الأمة الجزائرية إضافة للدين واللغة والمصير المشترك، بحيث عمل على الربط بين القيم الأخلاقية ومبادئ الدين الإسلامي، وذلك من خلال إقراره أن الدين الإسلامي الحنيف (قرآن وسنة نبوية شريفة) يدعو فيه إلى إرساء معالم السلم والعيش المشترك، وتحقيق الخير الأسمى للنوع الإنساني، فمولود قاسم استقرأ الواقع المرير الذي تتخبط فيه المجتمعات العربية الإسلامية، وحاول تقديم ترياق لها من خلال العودة إلى أصولنا الأخلاقية والدينية، التي تنبذ بشكل أو بآخر خطابات التطرف والعنصرية والعنف، "فإذا خرب الحياء، حياء الأفراد والأسرة الواحدة بعضهم من بعض، حياء الأفراد في المجتمع، حياء الأمة، فسلام على الرادع الأول من ارتكاب جميع الرذائل، من الانحلال الخلقي بالمعنى الضيق، حتى السرقة والغش، ....، فسلام على القيم المجتمعية وسلام على المجتمعات نفسها"[1]. فالأصل في الإنسان حسب مولود قاسم يميل إلى فعل الخير ويتجنب الشر، لكن مع شرور الحضارة المادية وما نتج عنها انسلخ هذا الإنسان عن طبيعته الأولى، ومال إلى تحقيق مصالحه المادية الآنية على حساب المصلحة العليا للمجتمع.

ويعود مولود قاسم نايث بلقاسم إلى الحديث عن الحضارة العربية الإسلامية وما تمثله من منظومة أخلاقية ودينية وعلاقتها بالتطور والازدهار والرفاه المادي، إذ يرى أن "الازدهار المادي وحده من غير أبعاد أخلاقية وروحية، مثله مثل التعليم من غير تربية، ومثل جسد من غير روح، يمكن أن ينشأ عنه الشر، وأننا غالًبا ما أغفلنا عن المظاهر الأخلاقية والروحية وخلقنا بعضا من الفراغ في شبيبتنا اليوم، وهذا بارز فيما يمكن أن نسميه في وقتنا الحاضر بالتفكك الأخلاقي وبالروح الاستهلاكية، في حين أن المجتمع الاستهلاكي ينتهي دائًما إلى استهلاك المستهلك والقضاء على الحضارات"[2].ويظهر لنا من خلال قول مولود قاسم نايث بلقاسم، أن أساس الحضارة يعود إلى تقوية الجانب الروحي في الإنسان، وما يُمثله من قيم دينية وأخلاقية، فا يمكننا اليوم أن نحقق التطور المادي بدونأن نُطّعم الجانب الروحي في أنفسنا، وفي نفسية الجيل الصاعد، فالتطور على الصعيد المادي لا يعني التراخي في الجانب الروحي والأخلاقي فكلاهما ضروريان لتحقيق ديمومة وصيرورة الحضارة ضمن عجلة التاريخ.

إضافة إلى ذلك، يقر مولود قاسم أن الدين الإسلامي عمل منذ الأزل على تقوية الجانب الأخلاقي والروحي في شخصية العربي المسلم، وهو ما أثبته الجزائريون من وحدة قومية في كفاحهم ضد المستدمر الفرنسي، كما كان الإسلام ولا يزال إلى يومنا هذا يدعو إلى احترام كرامة الإنسان ويصبو إلى تحقيق العدالة الاجتماعية وترسيخ القيم الأخلاقية منذ زمن بعيد، ولهذا " فلا يمكن الجزم والاعتقاد أنه لا يمكن لمن تشبع بالإسلام روحًا ومعنى أن لا يكون من أنصار تحقيق العدالة"[3].

إضافة إلى ما سبق ذكره، البناء الحضاري لا يعدو أن يكون أخلاقيا حسب مولود قاسم، ومن ثمة يشكل علاقة وطيدة بمشكلة الهوية والتي لها علاقة وطيدة بتحقيق التطور والرقي، ولعل أن المستعمر الفرنسي عمل على تشويه وتر الهوية لما له من تأثير بالغ في نفسية أفراد المجتمع الجزائري، والاعتماد على سياسة "فرق تسد"، كل هذا ساهم بقسط كبير في جعل الشرخ عميق بين أفراد المجتمع الواحد، ويشكك في أصله وهويته، والأكثر من ذلك تزييف الحقائق التاريخية ومحاولة جعل المجتمع الجزائري بدون هوية. ولهذا يرى مولود قاسم بأن الحضارة كمشروع وكطموح الإنسان العربي المسلم لا يتأتى إلا من خلال التفاعل القائم بين المقومات الأساسية المشكلة لها، سواء ما تعلق منها بالجانب الديني أو الإيتيقي

[1]- مولود قاسم، **أصالية أم انفصالية**، مصدر سابق، 15.

[2]- المصدر نفسه، ص 99.

[3]- المصدر نفسه، ص 105.

أو مختلف ما يمثل أصالة وهوية المجتمع العربي زمن عادات وتقاليد ومصير مشترك، ولهذا أعاد مولود قاسم -شأنه شأن بقية الفلاسفة والمفكرين الجزائريين مثل عبد الله شريط ومالك بن نبي على سبيل المثال- الاعتبار للعامل الروحي لما له من أهمية في تحقيق التناسق والتناغم بين مختلف طبقات المجتمع، ومن ثمة النهوض بالأمة إلى مصاف الدول المتقدمة.

ثالثًا: واقع الحضارة العربية الإسلامية من منظور مولود قاسم (الحضارة العربية الروحية في مقابل الحضارة الغربية المادية)

الجزائر اليوم على غرار بقية الدول العربية المسلمة، تعيش في عالم قلما نقول عنه أنه قرية، وخاصة أن العالم شهد تطورًا تكنولوجيا ورقميًا هائلا، ساعد في نشر مختلف الخطابات والإيديولوجيات، بحيث أضحى اليوم المواطن الجزائري بنقرة في الشبكة العنكبوتية، يمكنه التعرف على ثقافة وعادات وتقاليد مختلف الشعوب، كل هذا ساهم في حدة مأساة الإنسان العربي المسلم، وذلك من منطلق التبعية للعالم الغربي، ومحاولة تقليده. فالغرب وما يمثله من شعارات رنانة كالحرية والتحرر والانفتاح على الغير، وكذا الثورة الرقمية والتكنولوجية اليوم أضحت قوة تضاهي قوة السلاح، بحيث عملت الدول الغربية بكل الوسائل المتاحة على استمالة العرب المسلمين وتشتيتهم واضعاف وازعهم الديني والقيمي، من منطلق أن العالم الغربي يمثل أبهى صور التطور والرقي وأرض للحريات، والعرب يمثلون أدنى صور الرقي وأضعف شعوب المعمورة، كل هذه الدعايات المغرضة استخدمها الغرب –ولا يزال يستخدم فيها إلى يومنا هذا- بغية تشكيك المسلم في هويته ودينه وأخلاقه، والانسياق وراء التيارات الغربية التي تهدف إلى تحقيق هذه الغاية.

فالمشكلة الأساسية اليوم، أن الحضارات الغربية اليوم عملت على هدم المسلم وما يمثله من مقومات ومبادئ وعادات وتقاليد وقيم، ومحاولة جعله ينظر إلى دينه نظرة دونية، وأكثر من ذلك وكطريق لتحقيق هذا الهدف – أي هدم الجانب الروحي في المسلم وجعله في تبعية للجانب المادي- عمل الغرب على استخدام مختلف الوسائل: السمعية والبصرية، ومختلف وسائل التواصل، على ضرب وهدم الجانب القيمي للمجتمعات العربية المسلمة، ولهذا فمع مطلع القرن الحالي ظهرت للعيان نزعة الاستعلاء والشرور والعنصرية المقيتة تجاه الإنسان العربي المسلم باختلاف موقعه الجغرافي، من خلال الهيمنة والسيطرة على إنسانية العربي المسلم، ولهذا ما نعايش اليوم هو ثمار أزمة الإنسان التي هي خلاصة لفكر ظلامي لا يعترف بحق الإنسان خارج أوروبا وأمريكا، ومن ثمة عمل على مصادرة حريته ومختلف أفكاره وقيمه المجتمعية ومحاولة جعله خارج التاريخ، تحت شعار العولمة والثورة المعلوماتية[1].

ولهذا أقر مولود قاسم؛ على اعتبار مختلف الخطابات الإديولوجية المعاصرة سواء ما تعلق منها بالإديولوجيا الفرنسية أو الألمانية أو الغربية عمومًا إن صح القول، تسعى إلى استخدام التطور التكنولوجي الحاصل، في سبيل خدمة أغراضهم، وجعل الآخر –العربي المسلم- في تبعية مستمرة لها، سواء عادات أو تقاليد أو دين...إلخ، ومحاولة سلخه عن مبادئه الأولى المبنية على السنة والقرآن، والأمثلة كثيرة في هذا المقام.

يقول مولود قاسم في هذا المقام: "فهل التطور والتقدم والتفتح والتجديد والمعاصرة والعصرانية والثورية والعالمية عرض للحفلات الراقصة والتي هي دعوة للانحلال في الطليعة، فهي عن الطريق المستقيم حائدة شاردة، ولقيمنا الصحيحة هي الهاردة، فهل عرض تلك السموم في الأجهزة العامة المفتوحة للجميع من التقدم والتفتح والتطور، واتساع للأفق؟"[2]، ويقول في موضع آخر: "إن هذه المناظر كلها لهي التي تسقط الحياء والحشمة، وترسم على جبين الأفراد العار كالوشمة، بل وتؤذن للمجتمعات بالخراب، وتترك للدهر عليها الأكل والشراب"[3]. وكل هذا ناتج حسب مولود قاسم من محاولة التشبث

[1]- علي حسن الجابري، **الحضارة المعاصرة من الضرورة الى الصيرورة**، (ط1؛ سوريا: دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، 2010)، ص209.

[2] - مولود قاسم، **أصالية أم انفصالية**، مصدر سابق، ص 41.

[3]- المصدر نفسه، ص43.

بالآخر، أو ما يسمى باستهلاك الثقافة الواردة دون تمحيص ومراقبة، ولهذا يجب الحذر من كل ما هو وافد من الغرب من ثقافة وعادات وتقاليد ومحاولة تقليدها.

يتضح لنا من خلال ما سبق؛ أن مولود قاسم لم يكن ضد التفتح على الآخر، بل على العكس، أقر بضرورة الانفتاح على الآخر شرط تقويض كل ما لا يمت بصلة بقيمنا الروحية والدينية والأخلاقية، وكل ما له علاقة بثقافتنا و بعاداتنا وتقاليدنا، وأخذ ما ينفع الأمة العربية الإسلامية، ولهذا وجب على شباب الأمة العربية التسلح بالقيم الدينية والأخلاقية، أما التيارات الغربية التي تحاول جاهدة عصف كيانه ووجوده، من خلال الإغراء وتقديم كل التسهيلات قصد اختراقه روحيًا.

و للعلم أن مولود قاسم نايث بلقاسم، منذ تقلده منصب وزير التعليم والشؤون الدينية، ساهم بفكره والملتقيات الدينية التي كانت تعقد دوريًا في التأسيس لخطاب قيمي جديد، قوامه الدين الإسلامي الحنيف، والمتشبع بالهوية الجزائرية الأصيلة، وقيمه الأخلاقية النبيلة، ولهذا فالدين الإسلامي – على عكس ما كان يصفه المستشرقون- هو دين يدعو إلى الحياة التي تقوم على المحبة والتآزر والتضامن والإخاء، بعيدا عن الفكر المتطرف والساذج الذي سلب إنسانية الإنسان منذ زمن الاستعمار، ولهذا عمل مولود قاسم على تعريف الدين الإسلامي الحنيف من خلال المؤتمرات الإسلامية وتبيان حقيقة ديننا الحنيف الذي يجمع في طياته بين الدين الإسلامي و المواطنة والقيم الأخلاقية الأصيلة، وهو بمثابة ترياق المجتمعات العربية والنهوض بشعوبها.

وما يمكن قوله في نهاية بحثنا هذا؛ أن المشروع الذي كان ينادي به مولود قاسم نايث بلقاسم كان نتيجة استقراءه للواقع الإنساني المعاش، بحيث كانت مختلف نصوصه وكتاباته بمثابة رد لاعتبارات الهوية الجزائرية المبنية على ثلاثية اللغة والدين والمصير المشترك، إضافة إلى ذلك أقر مبدأ رابع وهو المبدأ القيمي الذي يرى فيه روح عصر الأمة القائم على التزاوج بين الأصالة والمعاصرة في عالم متغير ومضطرب المعايير.

خاتمة:

في نهاية ورقتنا البحثية، يمكن القول أن مولود قاسم نايث بلقاسم حاول منذ البداية إدراك نكبة المجتمعات العربية الإسلامية، نتيجة للخطابات الغربية المغرضة التي حاولت ولا تزال إلى يومنا هذا استمالة المسلم وجعله في تبعية مستمرة له، ولعل الاستعمار الفرنسي وما خلفته من تدمير لإنسانية الإنسان، وطمس لمعالم الهوية الجزائرية، ومحاولة سلخه عن مقوماته الأساسية دليل على المشاريع الغربية التي تسعى إلى هدم المعالم الحضارية للمجتمعات العربية الإسلامية. ولهذا فمشروع مولود قاسم نايث بلقاسم سواء ما تعلق منه بالهوية أو القيم الأخلاقية و الحضارية أو حتى السياسية، لا يمكن فصلها عن الدين الإسلامي.

ولهذا فالمشروع الحضاري الذي أراد مولود قاسم نايث بلقاسم تحقيقه – ويشترك معه مفكري عصره كعبد الله شريط، ومالك بن نبي- قائم في أساسه على العامل الديني وما يمثله من منظومة قيمية متكاملة الأطراف، ترمي في نهايتها إلى محاولة إسعاد الإنسان العربي المسلم وتقليص حدة مآسيه ونكباته، فإذا ما أردنا أن نبلغ قمة التحضر والحضارة، يجب علينا العودة إلى ذاتنا وما يمليه علينا الوازع الديني من جهة ومنظومتنا الأخلاقية من جهة أخرى، وهنا يظهر تميز وإبداع المفكر مولود قاسم نايث بلقاسم من خلال الجمع بين كل ما يمثل هوية المجتمع الجزائري (لغة ودينًا ومصيراً مشتركًا) وما ينتج عن ذلك من قيم اجتماعية وأخلاقية راقية، ترمي في نهاية المطاف إلى تحقيق العيش المشترك ونبذ كل أشكال العنف والتطرف.

وما أحوجنا اليوم كجيل صاعد؛ إلى ضرورة إعادة قراءة وإحياء تراثنا الفكري الجزائري القائم في أساسه على أسس ومبادئ الدين الإسلامي، والتشبع بمبادئه وقيمه النبيلة، قصد بلوغ السمو الروحي والرفعة الأخلاقية، ومن ثمة بناء حاضرنا

ومستقبلنا، وهو قمة التحضر وعينه، وما أحوجنا أيضا لمثل هذه المشاريع الفكرية التي سعت إلى إعادة بناء مقومات الحضارة الإسلامية، وتكون بمثابة الدرع الحصين أمام التيارات الغربية الجارفة التي لا تعترف إلا بتقوية الجانب المادي على حساب الروح. ويكفي مولود قاسم نايث بلقاسم فخرًا أنه كان من السباقين نحو التأسيس لمشروع حضاري قوامه الدين والأخلاق، في زمن طغت فيه المادة على الروح.

الإحالات والمراجع:

المصادر

1- مولود قاسم نايث بلقاسم، **أصالة أم انفصالية**، د.ط؛ الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2009، ج1.

2- **أصالة أم انفصالية**، (د.ط؛ الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2010، ج02.

3- **إنية وأصالة**، د.ط؛ الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2013.

المراجع

4- أحمد رضا، **الإفلاس الخلقي لسياسة الغرب في الشرق**، تر: الشريف قصار، ط1؛ الجزائر: دار قرطبة للنشر والتوزيع، 2014.

5- أنور الجندي، **المدرسة الإسلامية على طريق الله ومنهج القرآن**، القاهرة: دار الاعتصام، دس.

6- الطيب برغوث، **التجديد الحضاري والعمق الإنساني للإنسان**، د.ط؛ الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، 2017.

7- ابن خلدون، **المقدمة**، بيروت: مكتبة لبنان، 1996، المجلد الأول.

8- سيد قطب، **الإسلام ومشكلات الحضارة**، ط09؛ القاهرة: دار الشروق، 1988.

9- شحادة الناطور،جمال بيضون وآخرون، **مدخل إلى تاريخ الحضارة**، ط1؛ عمان: دار الكندي للنشر والتوزيع، 2016.

10- عفاف سيد صبرة، **المستشرقون ومشكلات الحضارة**، ط2؛ القاهرة: دار الفكر العربي، 2007.

11- علي حسن الجابري، **الحضارة المعاصرة من الضرورة إلى الصيرورة**، ط1؛ سوريا: دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، 2010.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب:APA

رياض طاهير، (2024) **التفكير الحضاري عند مولود قاسم نايث بلقاسم من منظور أخلاقي وديني** ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 16(01) /2024، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة، (ص.ص 101- 112).